الرسول محمد منتهى الكمال البشري

للسيد العلامة المجتهد: عبد المجيد عبدالرحمن الحوثي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة في الليل إذا يغشى، وفي النهار إذا تجلى، وفي الآخرة والأولى، صلاة ترضيه وترضيك يا رب وترضى بها عنا، وتغفر بها عيوبنا وتستر بها عيوبنا، وتحشرنا بها مع جد ّ ِنا المصطفى صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على ما أنعم به علينا وعلى ما أتحفنا به من نعمه العظام وهدانا له من دين الإسلام، وجعلنا من أمة خير الأنام محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، نحمده ﷻ ونسأله الإستقامة على دينه والثبات على ما جاء به رسوله ﷺ والتأسي به والسلوك في منهجه.

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا نجاة يوم نقف بين يديه ترفع بها موازيننا، وتقبل بها أعمالنا، ونكتب بها في المؤمنين بالله والموحدين له العارفين به حق المعرفة، ونشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد عبده ورسوله وصفيه ونجيه وخيرته من خلقه أرسله الله على حين فترة من الرسل وانقطاع من السبل وانطماس من الهدى، فأنار الله به البلاد، وأحيا به العباد، وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وكانوا على شفا جرف هار، فكان هو الرحمة المهداة من ربنا ﷻ لخير أمة أخرجت للناس ﷺ الطيبين الطاهرين الأخيار الصادقين الأبرار الذين أ ذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أيها الأخوة المؤمنون: إن من أعظم نعم الله ﷻ علينا هو ما من ّ َ الله به علينا من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

عندما نتحدث عن النبي الرسول الخاتم محمد سيد الأولين والآخرين فإننا نتحدث عن شخصية تحدث الله عنها وملائكته ورسله وكتبه قبل أن توجد هذه الشخصية بآلآ ف ومئات الآلآف السنين، النبي محمد هو شخصية استثنائية، شخصية غير عادية لم يسبق في تاريخ البشرية لها مثيل، ولن يأتي لها مثيل إلى أن تقوم الساعة.

هذه الشخصية العظيمة يجب ان نتعرف عليها أكثر يجب أن نشكر هذه النعمة التي أ نعم الله بها علينا، وهي نعمة أن جعلنا من ذرية المصطفى ﷺ ومن أمة محمد خير الأمم، الأمة المرحومة التي كان الأنبياء صلوات الله عليهم يتمنون أن يكونوا من هذه الأمة، فالنبي محمد ﷺ هو نقطة الإيقاظ في هذا الكون، وفي هذا الوجود، هو قطب الرحى الذي دارت عليه حياة هذه البشرية، وما أخره الله ﷻ إلا ليكون مسك الختام، هو الرسول الخاتم، هو النور الذي رآه آدم ﷺ نورا ً عند العرش حينما وقع في الخطيئة، فتوسل به إلى الله ﷻ وبالخمسة أهل الكساء في أن يغفر الله له ﷻ ذنبه فغفر له، وفي ذلك كما يذكر أهل رواة الحديث في تفسير قوله تعالى: ﷺفَتَلَقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إنّهُ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ﴾ [البقرة/37]

و كما يقول الشاعر:

هم الكلمات ُ والأسماء ُ لاحت لآدم َ حين عز ّ َ له المتاب ُ

فنبينا محمد ﷺ هو شخصية أثنى الله ﷻ عليها، هي شخصية انتظرتها الملائكة انتظرتها الرسل الكرام، انتظرها الصالحون من الأمم في كل زمان وفي كل الحقب الخالية من تاريخ الإنسانية.

شخصية النبي محمد ﷺ شخصية حقيقة بالدراسة والبحث والتمحيص والتعرف على مبادئ وأخلاق وروح هذه الشخصية التي منحنا الله ﷻ شرف الإنتماء إليها وشرف الإهتداء بهديها، وأن نكون من أمة سيد ولد آدم الرسولﷺ هو دعوة نبي الله إبراهيم الخليل الذي يقول الله ﷻ : ﷺوَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تقبّلْ مِنّا إِنّكَ أَنْتَ السّمِيعُ العَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة/127-129].

النبي ﷺ هو دعوة إبراهيم الخليل ـ صلوات الله عليه ـ هو ذلك الرسول الذي جاء ليعلمنا الكتاب والحكمة، ويزكينا ويزكي أنفسنا ويزكي أخلاقنا ويزكي مبادئنا وقيمنا وإنسانيتنا.

الرسول ﷺ هو تلك الشخصية العظيمة التي أخذ الله ﷻ ميثاق جميع الأنبياء و المرسلين منذ آدم ﷺ إلى عيسى ابن مريم ﷺ وهو العالم ﷻ أنهم لن يدركوا زمن الرسول ﷺ هو العالم أنهم لن يدركوا بعثة النبي محمد ﷺ ومع ذلك كان يأخذ عليهم العهد في كل زمان، على كل نبي، وكل رسول من الرسل، أخذ الله ﷻ على كل نبي من الأنبياء، على كل رسول من الرسل الميثاق، أنه إذا أدرك النبي ﷺ فإنه لابد أن يكون من أنصاره و أعوانه ومن أتباعه، ما ذلك إلا إشادة بهذه الشخصية العظيمة في جميع حقب التاريخ عند جميع الأنبياء وعند جميع الأمم، أخذ الله منهم العهد والميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران/81] .

هكذا يأخذ الله ﷻ العهد على أنبيائه أن يكونوا من أعوان المصطفى ﷺ وأتباعه ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : لعمر حين كان يحاول أن يطـ ـّلع على التوراة وأن يقرأ فيها، فنهاه النبي وقال: ((والله لو كان أخي موسى حيا ً ما وسعه إلا متابعتي)) لا تبحث عن ما في التوراة التي قد حـ ـُرـ ـّفت وبـ ـُدلت، فما في كتاب الله وما جاء على لسان رسول الله فيه خير مما جاء في التوراة، ومما جاء على لسان موسى وعيسى وبقية أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين .

النبي بشـ ـّرت به الرسل الكرام قبل مبعثه بمئات الأعوام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ مـ ـَدحته كتب الله للأمم السابقة ووصفته

ووصفت أصحابه كما يقول الله ﷻ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح/29] هذا هو صفة رسول الله وأصحابه في التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ .

هذه الشخصية العظيمة التي يثني عليها الله ﷻ في كل كتبه السماوية يأخذ الله ميثاق أنبياءه جميعا ً بنصرته ومتابعته ومناصرته، يدعو خليله إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ بأن يكون في أمته وفي ذريته هذا الرسول الخاتم، وكأنه ﷺ قد أخذ من كلام الله ﷻ أن رسول الله الرسول الخاتم الذي سيبعث في آخر الزمان، فأراد أن يكون من ذريته، وأراد أن يكون هو الرسول الذي يبعث في أولاده صلوات عليه وعلى آله.

هذا الاهتمام العظيم بشخصية النبي قبل وجودها، واستشعار هذا الاهتمام من الأنبياء صلوات عليهم ومن الرسل وأممهم ما كان إلا لأن رسول الله شخصية غير عاديه شخصية لا تقاس بمنطقة ولا بقطر ولا بعالم ولا بجيل بل شخصية فاقت كل الشخصيات، اخترقت حواجز الزمن، واستطاعت أن تبرز شخصيتها العظيمة على كل الشخصيات السابقة والآتية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

نحن أيها الأخوة: مقصرون تقصيرا ً كبيرا ً في دراسة وتحليل ومعرفة هذه الشخصية نحتاج إلى أن نرجع إلى مدرسة الحبيب المصطفى نحتاج إلى أن نتعرف على هذه الشخصية العظيمة لنستفيد منها لا لحاجتها إلينا.

ولكن نحن أيها الأخوة: من نحن في حاجة إلى رسول الله نحن بحاجة إلى أن نستلهم منه الأخلاق العالية، نستلهم منه من هذه الشخصية العظيمة، ليست عظيمة على مستوى البشر بل الله ﷻ هو من يعظمها هو من يرفعها فوق كل شخصيات العالمين، يمدحها الله ويثني عليها بما لم يثني به على أحد من العالمين، يعطيها صفة العظمة في كل أخلاقها وصفاتها، فيقول ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ

[القلم/4].

الخ ُلُ ُق آيِ ّ ُها الأخوة: هو كل ما يتخلق به الإنسان من صفاته الباطنة و الظاهرة، فعندما يقول رب العالمين لرسوله : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ يصفه الله بالعظمة في كل جوانب الأخلاق، هذه شهادة عظيمة لم يمنحها الله سبحانه لأحد من الأنبياء السابقين، كان يمدحهم بصفات مخصصة إِنَّهُ كانَ صَادِقَ الْوَعْدِ [مريم/54] إنه كان من المحسنين، إنه كان أوابا، ولكنه مدح النبي بشهادة ووسام لم يمدح بهما أحد من العالمين، فيقول: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ كل أخلا قه عظيمة كل صفاته في منتهى الكمال البشري.

أفلا نحتاج أيها الأخوة إلى أن نقتبس من أنوار المصطفى أفلا نحتاج إلى أن نأخذ منه الأسوة التي قال الله : لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ [الأحزاب/21] أسوة كامله في كل شيء الله يجعلها لنا في بعض انبيائه في أمر من الأمور كما يقول: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [الممتحنة/4].

أمرنا الله أن نتأسى بإبراهيم وأصحابه في هذه المسألة في التبري من أعداء الله و التبري من كل من عاند الله ورسوله وشاق الله ورسوله، ولكنه يأمرنا أن نتأسى بالنبي في كل صفاته في كل خصاله في كل تصرفاته في كل سلوكياته، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه عامة في كل تصرفاته وأفعاله وسجاياه وخصاله، والله لا يأمرنا أن نتأسى ألا بما كان مرضيا ً عنده، وما كان مستحسنا من الأقوال والأفعال، فالنبي منحه الله هذه المنزلة، وعر ّ َفنا أنه كله أسوة، وكله قدوة في كل جانب من جوانبه، وفي كل سلوك من سلوكياته، ليس في جانبه نقص ولا ضعف ولا وهن في أي جانب من الجوانب لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .

الله ﷻ هو من يمدح رسوله من يعظمه لنا حتى نعرف كيف نقتدي به كيف نتأسى به؟ كيف نتعلق بهذه الشخصية العظيمة؟.

المفترض أيها الأخوة: أن كل إنسان مؤمن يعرف حياة رسول الله من لحظة ولادته بل وقبل ولادته إلى أن قبضه ربه إليه بعد ما رضي عمله، وشهد له بالبلاغ وإكمال الدين وإتمام النعمة، من المفترض بنا نحن المسلمين نحن أتباع الرسول الخاتم أن نكون أعرف الناس بهذا الرجل العظيم، هذا الرجل الذي مدحه الله ومدحته أنبياءه ورسله ومدحه القران الكريم مدحاً لم يمدح به أحد من العالمين، ولكننا أيها الأخوة الكثير منا لا يعرف عن المصطفى إلا القليل النادر.

هذه الشخصية التي يجب أن تقام لها مراكز الدراسات والبحوث العالمية، شخصية نالت على رضاء الله ﷻ في كل جانب من جوانب حياتها، شخصية جعلها الله قدوة للعالمين وجعلها الله رحمة للعالمين، وجعلها الله سراجا منيراً لهذا الكون بأكمله ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ .

هكذا يصف الله رسوله فكيف أيها الأخوة نبتعد عن هذه المدرسة المتكاملة؟ مدرسة حازت على شهادة تقدير من الله ﷻ ومن أنبيائه ورسله حتى قبل أن توجد وقبل أن يسعد بها الكون، كانت تلك الشخصية هي الشخصية المشهورة على مر التاريخ التي تتناقلها الألسن، وذاكرة التاريخ جيلا بعد جيل، كل يترقب وصول هذا النبي الخاتم محمد .

فنحن المسلمون ـ للأسف ـ لما ابتعدنا عن مدرسة الرسول لم نستفد من هذه المدرسة، لم نتعلم منها الصفات الفاضلة، الصفات العظيمة لم نتعلم من تلك الأخلاق العالية، لم نتعلم من تلك النفس الرفيعة التي لم تنل ما نالته بمن ٍ من الله فقط، وإنما بزكاء نفسها وبتنمية شخصيتها العظيمة حتى كانت منذ طفولتها شخصية مستقيمة متزنة تسعى إلى الرقي في معالي الأمور في كل جانب من جوانب الخير.

كان المصطفى يسعى لأن يكون مثلاً أعلى فيه حتى لُقب قبل نبوته ـ صلوات الله عليه ـ بالصادق الأمين، لم يعهد له كذبة قط، ولم يخن أمانة قط، ولم

يسئ إلى انسان قط، كان مثالا عظيما للشخصية الإيمانية للشخصية الكاملة التي تحمل الأخلاق العالية الرفيعة.

الله ﷻ يمدحها ويثني عليها الثناء العظيم ويخبر أنه كما قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/107] وإذا قسنا شخصية النبي بإنجازاته بمشروعه العظيم الذي قد ّ َمه للأمة، الذي قدمه للأجيال، الذي قدمه للبشرية جمعاء، فانه يعتبر أعظم وأنجح إنسانا بنى مشروعا انسانيا متكاملا، نجح في إيصاله إلى كل بقاع الأرض، واستمر هذا المشروع 1400مائة عام وسيستمر إن شاء الله إلى أن تقوم الساعة.

هذا الرجل العظيم الذي أحيا ملايين ومليارات الأنفس وأنقذها من النار جدير منا أيها الأخوة بكل الحب والاحترام، جدير منا بكل التعلق والعشق بهذه الشخصية العظيمة، ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)) جدير بتلك المكانة العظيمة التي أعطاها الله ﷻ له ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة/128] يصفه الله ﷻ بهذه الصفات العظيمة يثني عليه الله في آيات كثيرة من القرءان الكريم يصلي الله عليه وملائكته ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب/56].

اللهم اجعل أفضل صلواتك وأشرف بركاتك على محمد نبي الرحمة وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار، عندما يكون الله ﷻ وملائكته هم من يصلون على هذه الشخصية ثم يأمر العالمين أجمع بالصلاة عليها إنما ذلك إشادة منه ﷻ وإبقاء لذكر هذا الرسول الخاتم .

يأمرنا الله أن نصلي على رسول الله وعلى أهل بيت رسول صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ونقول كما قال أصحاب رسول الله : قد عرفنا السلام عليك ـ يا رسول الله ـ فكيف الصلاة عليك؟ قال: ((قولوا: اللهم صل ّ ِ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)) صلاة تشبه صلاة خليل الله إبراهيم، ص

لاة الله على محمد وعلى آل محمد هي كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

هذه الشخصية العظيمة تحتاج منا أيها الأخوة إلى أن نجعل منها مثلا ً أعلى إلى أ ن نقتبس من نورها إلى أن نتخلق بأخلاقها حتى لا تكون أمة محمد أول من يتخلى عن أخلاق رسول الله صاحب الخلق الرفيع الذي لم يسئ إلى مخلوق قط، ولم يضرب شخصا في معصية الله، بل كان حسن الجوار حتى أنه كان له جار يهودي يؤذيه ويضع الأذى أمام بابه، فكان النبي يغضي ويذهب ويصبر ولا يرد على ذلك اليهودي.

وفي يوم من الأيام خرج المصطفى فلم يجد ذلك الأذى أمام بابه، فتعجب وسأل عن ذلك اليهودي ما باله؟! ما الذي حدث له حتى أنه لم يضع الأذى ببابه؟ فقيل له: يا رسول الله مريض، فماذا فعل النبي ؟ ذهب ليزور ذلك اليهودي.

هذه الأخلاق العظيمة، هذه النفسية الرفيعة التي لا تحمل الحقد ولا الغل ولا الانتقام ولا التشفي من أحد من العالمين ذهب ليزور اليهودي الذي يضع الأذى على بابه؛ لأنه عرف أنه مريض؛ لأنه لم يضع الأذى على بابه في ذلك اليوم، هذه النفسية قهرت الشيطان الرجيم، وقهرت النفس الأمارة للسوء لذلك اليهودي فلم يستطع حينما رأى الرسول يأتي لزيارته إلا أن ينفجر باكيا ويعلن ألا إله إلا الله وأن محمدا ً رسول الله .

هذا هو الحبيب المصطفى هذه هي أخلاقه هذه هي نفسيته، النفسية التي تحملت كل الأذى من قريش طيلة ثلاثة عشر عاما ً وهم يسعون في إطفاء نوره وإخماد نبوته وتعذيب أصحابه وتنكيلهم وتشريدهم وطردهم وحصارهم، بل لم يكتفوا بذلك حينما هاجر النبي إلى المدينة حتى لحقوا به إلى المدينة المنورة بل وجيـ ّ َشوا العرب والأحزاب لحربه، وعندما استولى النبي على مكة، حينما فتحها الله له، قام خطيبا ً فقال: ((ماذا تظنون أني فاعل ٌ بكم؟ ـ هم يعرفون النبي يعرفون أخلاقه يعرفون نفسيته ـ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)).

هكذا يعفو رسول الله عمن حاربه وآذاه وسعى بكل طاقته وجهده إلى إطفاء نوره، فعل ذلك رحمة منه بهؤلاء القوم حتى يهتدوا حتى يرجعوا إلى الدين حتى ينقذوا أنفسهم من النار، لم يكتف النبي بأن يصفح عنهم بل أخذ يتألفهم فيقول: ((من دخل داره فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) يريد أن يرفع لأ بي سفيان من مكانته بين الناس؛ لعله أن يستعطفه ليرجع إلى الحق ليتوب إلى الله ليندم على ما حارب به الإسلام والمسلمين.

وعندما غزى رسول الله غزوة تبوك أعطى الغنائم لهؤلاء المؤلفة، ترك أصحابه المهاجرين والأنصار وأعطاها لأبي سفيان وأمثاله، كل ذلك محبة في أن يستعطف قلوب هؤلاء الجبابرة، هؤلاء العتاة الطغاة الذين حاربوه طيلة ثلاثة عشر عاما ثم ثمانية أو خمسة أعوام وهو في المدينة المنورة ـ على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم وعلى آله ـ يعطيهم الأموال يعطيهم الغنائم ثم يعرف أن ذلك سيؤثر في نفسيات بعض المؤمنين خصوصا الذي أعطاهم النبي هم من عشيرته وقومه هم من بلاده ومسقط رأسه.

الأنصار آوو الرسول عندما طردته قريش، حينما لم يجد من قريش إلا العتو و النفور والمحاربة والأذية، كانت قلوب الأنصار مفتوحة لرسول الله وبلادهم مفتوحة له ولأصحابه المهاجرين، آووه ونصروه وعزروه وقفوا معه في أشد المواقف لم يغفل ذلك عن ذهن النبي فهو وإن كان يريد أن يتألف هؤلاء العتاة من جبابرة قريش فإنه لا ينسى أن يسر ّ َ قلوب إخوانه المهاجرين والأنصار من المؤمنين.

فجمع الأنصار ورأى في وجوههم شيء من العتب عليه، الآن حين لقيت أصحابك وقومك وعشيرتك أعطيتهم الأموال ونسيتنا؟! فبدأ النبي يخبرهم بنعمة الله عليهم حينما آووه ونصروه، فشرع لهم النبي النعمة العظيمة التي جاءت لأهل المدينة بقدوم النبي وهدايتهم إلى الإيمان والإسلام وأن المنة لله ولرسوله عليهم، كما يقول الله لقوم آخرين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ

بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات/17].

فالنبي ذكرهم بنعمة الله عليهم، ولكنه لن ينسى أن يستشعر ما في قلوبهم فقال: ((أما لو شئتم لقلتم جئتنا خائفا فأم ّ َناك وذليلا فنصرناك ..إلى غير ذلك)) من الأفعال التي فعلها الأنصار للنبي ولأصحابه يتألف قلوب جبابرة قريش، ولكنه يريد أن يستعطف أصحابه ويأخذ بمجامع قلوبهم، فذكرهم بنعمة الله عليهم ثم ذكرها لهم من الفضل والإحسان على رسول الله وعلى المؤمنين من المهاجرين، وأنهم الذين آووه ونصروه وضحوا وواسوا، ولكن كما قال المصطفى: ((أ لا يسركم أن يرجع الناس بالغنائم وترجعوا برسول الله)) فعند ذلك انهمرت أعينهم وقالوا: رضينا برسول الله .

هذا الرسول العظيم هذه الشخصية العظيمة التي كانت حينما تسع السب والأذية و التحريض من المنافقين لم يكن النبي يواجههم بما يقولون به من الكلام الفاحش بل كان رسول الله يصعد إلى المنبر فيقول: ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)) لا يريد أن يصرح بأسماء هؤلاء حتى لا ينفروا، حتى لا يبقى لهم خط رجعة، لعلهم أن يحسن إسلامهم، لعلهم أن ينتهوا عما كانوا يقومون به من أعمال في حربهم لله ولرسوله، لم يكن يريد أن يذكر أحد من أصحابه بسوء عنده.

حينما كان بعضهم يذكر له ما يفعله بعض أصحابه، فقال: ((لا تحدثوني عن أصحابي فإني أريد أن أخرج إليهم بقلب سليم)) أراد النبي ألا يحمل حقدا ً ولا غلا ً على أحد بل وسعت رحمته العالمين، فكان هو الرحمة المهداة للبشرية جمعاء.

مر ّ َت به يوما ً جنازة فقال: لمن هذه الجنازة؟ فقالوا: لفلان اليهودي فبكى فتعجب أصحابه!! وقالوا: يا رسول الله أتبكي على يهودي؟! قال: ((إنها نفس ٌ تفلتت مني إلى النار)) نفس بشرية تفلتت من رحمة الرسول وستصلى عذاب الله الأبدي الذي لا نهاية له، أفلا يبكي رسول الله حينما يجد نفسا تفلتت إلى الجحيم؟! لقد كان هو القلب الرحيم الذي يريد الرحمة للعالمين جميعا، في الأمم والأجيال لم تقتصر رحمته على عالمه فقط، بل وسعت العالمين أجمع، ولهذا

عندما يقول جبريل الأمين ـ صلوات الله عليه ـ بعد أن خرج من الطائف وبعد أن نال من أهل الطائف ما ناله إن شئت يقول الله ﷻ :إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فيقول المصطفى : ((لا يا جبريل لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)).

هذا الرسول العظيم نحن في حاجة أيها الأخوة إليه نحن في حاجة إلى معرفته فلنسأل عنه آيات الذكر المبين، نسأل عنه كلام الله، نسأل عنه من هو عليم بكل شيء وخبير بكل شيء، رب العالمين يخبرنا عنه وعن صفاته وعن ما جعل الله من المكانة العظيمة حتى جعله أولى المؤمنين جميعا ً من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب/6] هو أولى بك من نفسك، أولى بكل مؤمن من نفسه كما يقول: ((لا أمر لهم معي قالوا: بلى ـ يا رسول الله ـ قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه)).

الله ﷻ يقرن طاعته بطاعة رسوله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء/80] انظر إلى هذه العظمة حينما يكون الله رسوله كالشيء الواحد طاعة أحدهما طاعة للآخر كما يقول الله ﷻ على لسان رسوله مخاطبا للناس: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران/31].

هذه المرتبة العظيمة لا نلتفت إليها حينما يجعله سبب الهداية إلى كل خير ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور/54] ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء/69] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة/2] يمدح الله نبينا محمد بمدح عظيم جامع لكل فضائل الخير خ ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب/46] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة/33] هذا الرسول الذي استطاع أن يوجد في تلك الفترة التي عم الظلام فيها ربوع البلاد وأصقاع الدنيا، لم يعد هنالك من يهتدى بنوره ولا من يستضاء بضيائه.

سلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة الذي كان يبحث عن الحق ويتنقل من راهب إلى راهب، هذه الشخصية العظيمة انتقلت من راهب إلى آخر كلما مات راهب سأله أن يوصيه من الذي سيبقى على هذا الدين وعلى هذا المنهج الحق، فيقول: له لم يبقى إ لا فلان وهو في منطقة كذا وكذا، فيذهب سلمان ﷺ إلى ذلك الراهب الآخر فيبقى عنده يتعلم منه حتى يقبضه الله إليه، فكان آخر راهب يقول: والله لا أعلم أحدا ً على وجه هذه الأرض يدين بهذا الدين، ولكنه قد أوشك قيام النبي الخاتم في بلاد صفتها كذا وكذا، ووصف له وصفا يشبه المدينة المنورة ـ على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم ـ فهاجر سلمان إلى تلك البقعة الطاهرة منتظرا ً ومترقبا ً مبعث رسول الله في ذلك الوقت الذي عم ّ َت فيه الظلمة والظلمات والظلم والشرك، وعم فيه أنواع الكفر العالم بأسره.

استطاع النبي أن يوجد أمة سميت من قبل أن توجد بأنها خير الأمم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران/110] أمة محمد هي مذكورة في كتب الله بأنها خير الأمم لماذا ؟ ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ استطاع النبي أن يحي العالم بأسره، أن يقيم دولة تستمر أمد الحياة، بل لا ز الت إلى هذا التاريخ دولة الإسلام دولة الحق التي يريدها الله ﷻ ورسوله، رسم الله معالمها بي ّ َن رسوله تفاصيلها، وكيف يريد الله أن تكون هذه الأمة التي تقيم شرع الله؟ وتحكم بما أنزل الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

النبي استطاع أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الحديد/9] أخرج الله به الناس من ظلمة الجهل من ظلمة الشرك ومن ظلمة الظلم ومن كل أنواع الجاهلية التي كانت قد تفشت في المجتمع، أخرج الله به من هذه البيئة الفاسدة أمة مؤمنة صالحة استطاعت أن تقوم بدين الله وأن تنصر الإسلام وأن ترفع رآية لا إله إلا الله خفاقة في كل بقاع الأرض.

أيها الأخوة: علينا أن نتعرف على نبينا محمد علينا أن ندرس صفاته وأخلاقه أن نعرف تلك الأخلاق التي وصفها الله بالعظمة حينما يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍﷺ ندرس شخصية النبي نتعلم كيف كان يتعامل مع ربه؟ كيف كان يتعامل مع أسرته؟ نتعلم كيف كان يتعامل مع مجتمعه؟ كيف كان يتعامل مع العالمين جميعا ً؟ بالرحمة والرق واللين والشدة حينما يعصى الله ﷻ.

كان رسول الله سهل الجناب يتكلم مع أصحابه عندما يتكلمون في الآخرة يتكلم معهم في الآخرة، عندما يخوضون في الدنيا يتكلم معهم في الدنيا لا يرد أحدا ولا يقطع الحديث مع أحد إلا أن يكون هذا الشخص هو من يقطع الحديث مع النبي كان رسول الله يغضب أشد الغضب حينما تنتهك محارم الله سبحانه وتعالى.

فعلينا أيها الأخوة: أن نرجع إلى هذه الشخصية العظيمة، نجعل هذه الفترة فرحة لكي نبحث ونقرأ ونستطلع على شخصية النبي نعرف أخلاقه، نعرف كيف نـ تأسى به في معاملة مع الناس أجمعين؟ كيف كان يتعامل مع أعداء الله؟ كيف كان يتعامل مع اليهود؟ كيف كان يتعامل مع المنافقين؟.

الله ﷻ يتهدد المنافقين والمرجفين في المدينة عوضا ً عن رسوله ﷺ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾.

كان رسول الله يغضي عن المنافقين، أشار عليه بعض أصحابه بأن يقتل المنافقين والمرجفين، ((قال: لا لا أريد أن يقول العرب إن محمدا ً يقتل أصحابه)) فتهدد الله المنافقين والمرجفين بأن يغري بهم رسول الله ولو أغراه بهم لما أخذته بهم رحمة ولا شفقة؛ لأنه كان شديد الرأفة والرحمة إلا عندما يأمره الله سبحانه وتعالى أو تنتهك محارم الله.

فنحن أيها الأخوة: في هذه المرحلة أشد ما نكون حاجة إلى الرجوع إلى هدي النبي والى معرفته ومعرفة دينه ومعرفة أخلاقه، لكي نكون ناجحين كما كان ناجحا ـ صلوات الله عليه وعلى آله ـ لكي ننجح في مشاريعنا؛ لكي ننجح في حياتنا؛ لكي ننجح في دعوتنا إلى الله ﷻ يجب أن نكون كما كان النبي يجب أن ندرس

شخصيته ونعرف عظمة تلك الشخصية ونحاول أن نتأسى به، وأن نتقمص شخصية النبي ونتال بعض أخلاقه، وبعض النور الذي أنارت به السموات والأرض ﷺ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﷺ [الأحزاب/45، 46] نقتبس من ذلك السراج، ومن ذلك الضوء ما ننير به دروبنا، وننير به حياتنا، وننير به قلوبنا حتى نلقى رسول الله وهو راضٍ عنا، حتى نلقاه وقد قدمنا له ولدينه ما يريد منا الله ورسوله أن نقدمه حتى نحب الله ورسوله فيحبنا الله ورسوله .

علينا أيها الأخوة: أن ندرس وأن نطالع وأن نتأمل في كل من يتحدث عن الرسول بداية من القران الكريم ومرورا بنهج البلاغة لأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ وانتهاء بكتب التواريخ والسير التي ذكرت بعض شمائل النبي وإن كانت لا تستطيع أن تحيط بشمائل رسول الله مئات الآلاف من المجلدات.

فما أحوجنا أيها الأخوة في هذه المرحلة التي انتهت فيها الأمة وتبدلت فيها معالم الدين، وغيب هدي رسول الله أن نرجع إلى إحياء هدي رسول الله وإلى معرفة الهدي الصحيح الذي كان يتوجهه، والذي نجح فيه وبه هداية العالمين أجمع.

نحن أيها الأخوة: في حاجة إلى أن نرتوي من معين المصطفى لكي نستطيع أن نوصل دينه إلى كل آفاق الأرض؛ لكي نستطيع أن نقوم وننصر دين رسول الله في هذه المراحل الصعبة من مراحل الأمة الإسلامية.

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك الفاتح لما سبق والخاتم لما انغلق، المعلن الحق بالحق والدافع جيشات الأباطيل، والهادم صولات الأضاليل كما حمل فاضطلع قائما بأمرك، مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم، ولا واهٍ في عزم، حتى أورى قبس لقابس وأضاء الطريق للخابط، وهدي الناس به في خوضات الفتن وأقام موضحات الأعلام ونيرات الأحكام، فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشفيعك يوم الدين، اللهم صل على محمد وآله، وآت نبينا محمدا الدرجة الوسيلة العالية في الجنة، وشفعه في أمته واجعلنا من أهل شفاعته.

اللهم صل على محمد وآله، وارزقنا حب محمد وآل محمد، وارزقنا خلق محمد وآل محمد، وارزقنا السير على نهج محمد وآل محمد، اللهم إذا أمتنا فأمتنا على نهج محمد وآل محمد، وإذا استشهدنا في سبيلك فيكون ذلك في نصرة دين نبينا محمد وآل محمد اللهم صل على محمد وآله، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه وهو راض عنا ـ يا أرحم الراحمين ـ واسقنا منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ودار كرامتك يا أرحم الراحمين اللهم صل على محمد وعلى أهل الطيبين الطاهرين.

اللهم اسلك بنا منهاجه، واجعلنا من المهتدين بنوره، والمستضيئين بسراجه، اللهم صل على محمد وآله، واجعل نبينا محمد أحب النبيين إلينا من أنفسنا وأهلينا ومن العالمين أجمع يا أرحم الراحمين، اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وتجاوز عن سيئاتنا، وألحقنا بنبينا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، اللهم صل على محمد وآله واختم لنا بالحسنى وتوفنا مسلمين

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وارفع راية الدين وأيدها بالعلماء العالمين وارزقنا الكون معهم والسير على نهجهم إلى يوم الدين , اللهم انصر المجاهدين وكن لهم خير ناصر ومعين، وامددهم بملائكة من عندك مردفين , اللهم ثبت أقدامهم وسدد رمايتهم وصحح نياتهم وأشركنا في صالح دعائهم وأعمالهم، وارزقهم النصر والتأييد على عدوهم يا رب العالمين.

اللهم اخذل المعاندين من اليهود والنصارى ومن أعانهم من العرب والعجم أجمعين وأنزل بهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم زلزل الأرض تحت أقدامهم واقذف الرعب في قلوبهم، واجعل أموالهم غنيمة للمسلمين يا أرحم الراحمين، اللهم طهر منهم البلاد والعباد يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وآله ولا تدع لهم رأيا إلا رأيا يكون وبالا عليهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم واجعل دائرة السوء عليهم واكف

المسلمين شرهم وضرهم وأذاهم يا أرحم الراحمين، اللهم صل على محمد وآله واكف بـ لاد اليمن وأهله من شر هؤلاء يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وحزبه وتجعلنا فيها من الساعين إلى طاعتك المؤيدين لدينك يا رب العالمين، اللهم صل على محمد وآله، ولا تمتنا إلا وقد خلصت ذممنا من كل حق يلزمنا بين يديك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم اجعل تجمعنا هذا تجمعا مرحوما وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما، ولا تجعل معنا ولا فينا شقيا ولا محروما، اللهم صل على محمد وآله، ولا تردنا من مقامنا هذا خائبين، ولا من رحمتك مطرودين، واشف مرضانا ومرضى المؤمنين، وأهلك أعداء الدين المفسدين، وفرج على الإسلام و المسلمين يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم تسليمها بتاريخ 2014/3/9م